رابط المادة على منصة باحث

تفسير ابن كثير

تفسير ابن كثير | شرح الشيخ عبدالرحمن العجلان | 4- سورة الزخرف | من الأية 12 إلى 52

عبدالرحمن العجلان

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين وبعد بالله اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ان اتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون بل قالوا انا وجدنا ابائنا على امة - 00:00:00

وكذلك ما ارسلنا من قبلك وكذلك ما ارسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا ابائنا على امة وانا على اثارهم مقتدون قال اولو جئتكم باهدام ما وجدتم عليه ابائكم - 00:00:35

انظر كيف كان عاقبة المكذبين هذه الايات الكريمة من سورة الزخرف جاءت بعد قوله جل وعلا وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا اشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون وفي قراءة - 00:01:12

سنكتب شهادتهم ويسألون وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ما لهم بذلك من علم انهم الا يخرصون ام اتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون. الايات يقول الله جل وعلا - 00:01:58

ام اتيناهم بل اتيناهم كتابا من قبله من قبل القرآن يبين صدقا ما اعتقدوه من الشرك فهم بهذا الذي جاءهم مستمسكون لا يتركونه لقولك يا محمد الاستفهام هنا للانكار ينكر عليهم جل وعلا بانه - 00:02:33

لم يأتهم كتاب من قبل القرآن لان محمدا صلى الله عليه وسلم اول رسول ارسل الى اهل مكة ويصح ان تكون ام هذه المعادلة بمعنى تابعة لما قبلها بمعنى الشهيد خلقهم - 00:03:22

ام اتيناهم كتابا من قبله هم جعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا قالوا هذا القول فيقول الله جل وعلا شهدوا خلقهم لا بلا شك انهم لم يشهدوا ام اتيناهم كتابا - 00:03:54

هذا ام هذا؟ كلاهما لم يحصل ستكون هنا بمعنى المعادلة فجاءهم كذا احصل كذا ام حصل كذا؟ كلا الامرين لم يحصل وهم على غير حق ثم بين جل وعلا ان هذا لم يحصل وهذا لم يحصل وانما الحاصل هو التقليد الاعمى - 00:04:23

وقد ذم الله جل وعلا التقليد في عدد من ايات القرآن ونهى عنه فالتقليد هو ان تقلد شخصا لا حجة معه وتتبعه على ما هو عليه والاتباع ان تتبع شخصا بناء على الدليل الذي معه - 00:04:55

فرق بين التقليد وبين الاتباع الاتباع مأمور به شرعا والتقليد منهي عنه شرعا وهنا يسجل جل وعلا على المشركين بانهم قلدوا اباءهم على ظلالهم وكفرهم فاتبعوهم بل قالوا لما سئلوا - 00:05:27

شهدوا خلقهم ام اتيناهم كتابا قالوا لا هذا ولا هذا بل قالوا انا وجدنا اباءنا على امة على امة كلمة امة تطلق على معان كثيرة منها القدوة في الخير ان ابراهيم - 00:05:58

كان امة قانتا لله حنيفا قدوة ومنها الزمن كلمة امة تطلق على الزمن والذكر ما عدا امة يعني بعد زمن طويل في سورة يوسف وعلى الدين والمنهج والشريعة والقبلة وهما بمعنى واحد - 00:06:26

وجدنا اباءنا بل قالوا انا وجدنا ابائنا على امة يعني على طريقة وعلى دين ظلال وطريقة ظالة ومذهب خاطئ وهذا يروى عن ابن عباس رضي الله من هما وانا ماشون وسائرون - 00:06:59

ومستمرون على اثارهم مهتدون ذكروا انهم مقلدون لابائهم وحكموا بانهم هم واباؤهم على هدى وانا على اثارهم مهتدون يعني هم

مهتدون قبلنا ونحن مهتدون على طريقتهم وقال جل وعلا هنا - 00:07:32
بل قالوا انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مهتدون وقال في الاية التي تليها وكذلك ما ارسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها. انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم - 00:08:07
مقتدون الاولى مهتدون. والثانية مقتدون وذلك ان الاولى وقع فيها الكلام على سبيل المحاجة فهم يثبتون لانفسهم الاهتداء باتباع ابائهم وقال جل وعلا عنهم مهتدون واما في الاية الاخرى الحكاية عن قوم ادعوا الاقتداء بابائهم فقط - 00:08:26
وقال عنهم جل وعلا لان المسألة ليست مسألة محاجة ومخاصمة وانما هو خبر من الله جل وعلا عنهم انهم قالوا على اثارهم مقتدون يعني متبعون لهم واما الاولى فالمسألة فيها محاجة ومخاصمة - 00:09:06
واخبار عن حالهم فحكموا لانفسهم بالاهتداء وكلا الطائفتين ظالة. التابع والمتبوع والله جل وعلا اخبر عنهم بانهم اتبعوا وقلدوا بلا برهان ولا حجة وهذا مذموم فسجل جل وعلا عليهم خطأهم وظلالهم باتباعهم وتقليدهم للاباء - 00:09:29
بل قالوا يعني لا هذا ولا هذا ما شهدوا وما اتاهم الله من كتاب بل قالوا انا وجدنا ابائنا على امة يعني على طريقة ودين ونحن على اثارهم مهتدون وهذا يحكيه الله جل وعلا عن كفار قريش في محاجتهم - 00:10:07
لمحمد صلى الله عليه وسلم يقول تعالى منكرا على المشركين في عبادتهم غير الله سبحانه وتعالى بلا برهان ولا دليل ولا حجة ام اتيناهم كتابا من قبله اي من قبل شركهم - 00:10:37
من قبل شركهم او من قبل القرآن فهم به مستمسكون اي فيما هم فيه اي ليس الامر كذلك؟ او من قبل ادعائهم ان الملائكة بنات الله لقول الله تعالى ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون. يعني ما جاءهم حجة ولا سلطان - 00:11:00
ولا برهان وانما هو تقليد اعمى اي لم يكن كذلك ثم قال بل قالوا بل بمعنى الاضراب لم يحصل هذا بال قالوا انا وجدنا ابائنا على امة وانا على اثارهم مهتدون - 00:11:28
اي ليس لهم مستند فيما هم فيه من الشرك سوى تقليد الاباء والاجداد لانهم كانوا على امة والمراد بها الدين ها هنا وفي قوله ان هذه امتكم امة واحدة يعني شرعتكم ومنهجكم. نعم. وقولهم وانا على اثارهم - 00:11:52
اي ورائهم مهتدون دعوة الى اثرهم كاننا نمشي خلفهم يعني نتبعهم ونقلدهم مهتدون دعو منهم بلا دليل ثم بين تعالى ان مقالة هؤلاء قد سبقهم اليها اشباههم وقال تعالى وكذلك ما ارسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال - 00:12:16
انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون هذا تأنيس للرسول صلى الله عليه وسلم وتسلية لان مقالة قومك لك هذه طريقة المشركين عامة والكفار السابقين عامة فهم على هذا - 00:12:46
وكذلك اي مثل ما قال لك قومك يا محمد قال المشركون الاوائل لانبيائهم مثل ذلك فاذا علم صلى الله عليه وسلم ان من قبله من الرسل قيل لهم من قبل قومهم - 00:13:24
مثلما قيل له ذلك يدخل السرور على نفسه وانه لم يكن هو الوحيد المكذب وانه لم يكن تكذيبهم لتقصير منه صلى الله عليه وسلم هذه طريقة الكفار مع الرسل كلهم - 00:13:49
وكذلك ما ارسلنا من قبلك في قرية القرية المراد بها البلدة المسكونة صغيرة كانت او كبيرة من نذير اي اي نذير جاءهم الا قال مترفوها المترف هو المتربي في النعمة - 00:14:10
والغنى والجاه والغالب ان من يرد الحق ولا يقبله هم المترفون هم المنعمون وكان الاجدر بهم والاولى ان يشكروا نعمة الله التي انعم عليهم في الدنيا فيطيعوا الله ويطيعوا رسله - 00:14:36
لكن تسلط ابليس اللعين على الاغنياء والاثرية واصحاب الجاه اكثر من تسلطه على الفقراء والمساكين اتباع الرسل غالبا هم الفقراء والمساكين والمكذبون والمعرضون هم الاغنياء والاثرياء واصحاب الجاه غالبا والا فقد يكذب من الفقراء - 00:15:02
وقد يصدق من الاخيار من الاغنياء الاثرياء وذوي الجاه وكذلك ما ارسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا اباءنا على امة هذه سنة الله في خلقه - 00:15:34

من قبلك كذلك قال المترفون للانبياء هذه المقالة قالوا انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون. ردوا دعوة الرسل وما خاطبوهم به من الهدى والحق والبيان والايضاح اعرضوا عن هذا كله وقلدوا اباءهم على كفرهم وضلالهم - 00:15:58
ثم بين تعالى ان مقالة هؤلاء قد سبقهم اليها اشباههم ونظرائهم من الامم السالفة المكذبة للرسل تشابهت قلوبهم فقالوا مثل مقالاتهم لذلك ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون - 00:16:30
اتواصوا به بل هم قوم طاغون وهكذا قال ها هنا وكذلك ما ارسلنا من قبلك من في قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون - 00:16:52
ثم قال الله جل وعلا قال ولو جئتكم في احدى مما وجدتم عليه اباءكم قراءة اخرى او لو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه اباءكم الا تتبعوني الا تصدقون الا تؤمنون - 00:17:14
ماذا قالوا قالوا انا بما ارسلتم به كافرون رفضوا يقول الله جل وعلا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لهؤلاء المكذبين هؤلاء المعرضين اولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه اباءكم - 00:17:47
لا تقبلوا مني ولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه اباءكم قالوا ردا عليه هو يعرض عليهم الهدى والنور الذي جاءهم به وانه خير وافضل واحسن مما وجدوا عليه اباءهم لكنهم من غطرستهم - 00:18:18
وردهم الحق وعدم القبول قالوا انا بما ارسلتم به كافرون سجلوا على انفسهم الكفر وعدم القبول مهما يكون وان كان ما جاءهم به الرسول حق فلم يقبلوه ولن يلتفتوا اليه - 00:18:44
وما طلبوا الامهال لينظروا. وكان الاجدر بالعاقل اذا اشتبه عليه الامر ان يطلب المهلة وان ينظر في الامر ويتأمل اهذا خير ام ما كان عليه الاسلاف لكن هؤلاء من غطرستهم وجهلهم وظلالهم قالوا مهما جئتم - 00:19:04
جئتم الينا من حق او غيره فلن نقبله قالوا انا بما ارسلتم به بما ارسلكم الله جل وعلا به كافرون فبين جل وعلا النتيجة وما الذي حصل للامم السابقة وان امتك يا محمد - 00:19:28
ان استمروا على منهج السابقين سيحصل لهم ما حصل لامثالهم ونظرائهم قال جل وعلا فانتقمنا منهم هذا فيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتخويف للكفار فانتقمنا منهم ارسل الله جل وعلا عليهم العذاب - 00:19:55
لان الله جل وعلا يمهل ولا يهمل يرسل الرسل وينزل عليهم الكتب للدعوة الى الله جل وعلا ان استجاب الخلق وذلك المطلوب والحمد لله وهو المراد وان رفضوا وابوا واصروا على كفرهم انتقم الله جل وعلا منهم كما قال فانتقمنا منهم يعني - 00:20:20
لقبناهم وعذبناهم فانظر اعتبار وتأمل كيف كان عاقبة المكذبين هل هم بقوا على ومالهم وسلطانهم سلط الله جل وعلا عليهم فاهلكهم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين عاقبتهم الهلاك وقومك ان لم يستجيبوا سيحصل لهم ما حصل لاولئك - 00:20:48
والله جل وعلا فضل هذه الامة بانه ووعد رسوله صلى الله عليه وسلم بانه لن يهلكهم عامة وانما اهلك المكذبين. اخذهم الله جل وعلا اخذ عزيز مقتدر. فاهلك منهم صناديدهم وكبرهم - 00:21:20
وعتى عصاتهم في بدر فقتل منهم سبعون ومآلهم الى النار والعياذ بالله ثم قال تعالى قل اي يا محمد لهؤلاء المشركين اولا جئت قل يا محمد او اخبار من الله جل وعلا ان محمدا قال قال او لو جئتكم قرأتان سبعيتان - 00:21:40
قال اولو جئتكم قل اولو جئتكم اولا جئتكم باهدى مما وجدتم عليه اباؤكم قالوا انا بما ارسلتم به كافرون. يعني لن نقبل ولو جئت باهدى مما كان عليه الاباء اي ولو علموا او تيقنوا صحة ما جئتهم به - 00:22:10
لمن قادوا لذلك بسوء قصدهم ومكابرتهم للحق واهله يعني عناد متناهي بانهم قالوا مهما يكون الحال ولو ان ما جئت به اهدى لن نقبله ولذا انتقم الله جل وعلا منهم - 00:22:37
فانتقمنا منهم اي من الامم المكذبة بانواع من العذاب كما فصله تعالى في قصصهم انظر كيف كان عاقبة المكذبين اي كيف بادروا وابادروا واهلكوا؟ وكيف نجى الله المؤمنين والله جل وعلا - 00:22:58
بين وامر لانه ينبغي عند التنازع في امر من الامور الا يحصل التقليد الاعمى وانما يرجع الى الله جل وعلا والى سنة رسوله صلى الله

عليه وسلم. كما قال تعالى فان تنازعتم في شيء - 00:23:21
فردوه الى الله والرسول. والرد الى الله هو الرد الى كتابه جل وعلا والرد الى الرسول صلى الله عليه وسلم هو الرد الى سنته صلى الله عليه وسلم فلا ينبغي التنازع في التقليد وانما ينبغي البحث عن الدليل وعن الحكم الشرعي كما هو في كتاب الله او سنة - 00:23:41
رسوله صلى الله عليه وسلم ويخطئ كثير من الناس بتقليد امامه في امر ما يخالف حديثا صريحا صحيحا وهذا جهل وظلال وانما الواجب على المسلم اذا وجد الدليل الصحيح الذي يخالف قول امامه وان كان امامه من السلف الصالح ومن الخيار - 00:24:06
لكنه ربما يكون لم يبلغه هذا الدليل فاذا وجد المرء الدليل يخالف مذهبه فليأخذ بالدليل وليطرح مذهبه كما هي حال ائمتنا رحمة الله بعضهم يقول اذا صح الحديث فهو مذهبي - 00:24:36
والاخر يقول اذا قلت قولا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولا يخالف قولي فخذوا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم واضربوا بقولي عرض الحائط. لا تقبلوا قولي - 00:24:57
والائمة رحمة الله عليهم قد يأتي عنهم ما يخالف الدليل لاسباب منها ان الدليل لم يبلغهم مثلا فهم معذورون في هذا او ربما ان الدليل بلغهم لكن ما صح عندهم. ثم ثبتت صحته فيما بعد - 00:25:13
وهكذا من الاسباب التي تجعل بعض الائمة يأتون باقوال عن اجتهاد وحرص ورغبة في الخير لكنها تخالف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيلتمس لهم العذر ولا يؤخذ بقولهم ما دام يخالف قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا - 00:25:35
يمقتون ولا يسبون ولا يتجنى عليهم وانما يترحم عليهم ويترضى عنهم ويلتمس لهم العذر ويؤخذ بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والله اعلم وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد - 00:26:00
وعلى اله وصحبه اجمعين - 00:26:26